من الانس الى الزوفى

تأليف المس كروفوت والمس بلدنسبرجر

بحث علمي لغوي بقلم الدكتور معلوف باشا

دفع اليّ صديقي رئيس تحرير المقتطف هذا الكتاب لأرى رأيي فيه فلما قرأت اسمهُ وما جاء في الصفحات الاولى منهُ لم احفل بهِ كثيراً لاني ظننته كتاباً يبحث في بقول فلسطين وأحاديث القوم فيها ولكنني لم اكد انتهي من قراءة فصل منهُ او فصلين حتى شعرت أني عاجز عن نقده لان عملاً مثل هذا يقتضي بحثاً دقيقاً في ما ورد في الكتاب من أنواع البقول المختلفة وفي اسمائها العلمية والعربية والانكليزية وهو أمر شاق يستوجب معرفة واسعة في علم النبات وعلم اللغة والعلوم الاخرى وهذا ما لا قبل لي بهِ الآن . ولكنني قبل الدخول في البحث اقدم للقارىء المؤلفتين الفاضلتين كما عرفتهما من كتابهما لاني لم احظَ بمعرفتهما بالذات بل من فضلهما على العلم والأدب . فقد علمت من الكتاب ومن مقدمتيه ان المس كروفوت هي التي كتبتهُ ورسمت الصور التي فيه بقلمها وجمعت ما جاء فيه من فوائد البقول الطبية مما ذكره ديسقوريدس وغيرهُ من القدماء .(١)

واما المس بلدنسبرجر فهي التي قامت بجمع أحاديث القوم عن البقول وفوائدها الطبية والمنزلية واخبار زراعتها ونحو ذلك . ويظهر ان المؤلفتين تجيدان العربية فالمس بلدنسبرجر اقامت العمر في فلسطين وخالطت القوم حتى صارت واحدة منهم . والمس كروفوت اقامت زمناً في مصر والسودان وفلسطين وجالت في انحاء السودان مع زوجها . واذكر أني رأيت لها كتابين أحدهما اسمه «بعض أزهار الصحراء» والآخر «ماله زهر من النبات في السودان» وهما مزينان برسوم انواع النباتات التي وصفتها وذكرت اسماءها العلمية والعربية والانكليزية وقد استعانت في تحقيق الاسماء العلمية بمعرفتها الواسعة في علم النبات وبالعلماء القائمين بادارة

(١) ديسقوريدس عشاب مشهور ذكرت المس كروفوت ان اسمه من عين زربة في كيليكية وانه أخذ كثيراً عن أهل البلاد التي على سواحل بحر الروم او البحر المتوسط . اما عين زربة هذه فواقعة الى الشمال من طرسوس وعلى عشرة اميال الى الغرب من نهر جيحان فتحها هرون الرشيد ثم حصنها سيف الدولة ثم فتحها المستر تفور ابن النقدس . ثم صارت من اعمال ارمنية الصغرى وهي الآن قرية صغيرة يسميها الترك نورزة

معشبة بالحكومة في الحرسوم ومعشبة كير في بلاد الانكليز . كذلك في هذا الكتاب فانها لم تأل جهداً في تحقيق الاسماء العلمية المذكورة فيه فالاسماء العلمية الواردة في هذه الكتب الثلاثة لاشبهة في صحتها وفي انها آخر ماوصل اليه علم النبات . أما الاسماء العربية فهي الشائعة على ألسنة العامة وبعضها فصيح او وارد في المؤلفات العربية . والمؤلفتان الفاضلتان لم تدّعيا الفصاحة في الاسماء العربية بل ذكر الاسماء كما هي تماماً وهي مكتوبة بحروف لاتينية بعناية تامة وفي غاية الدقة فلا يتعذر اعادتها الى العربية . اما الآن وبعد هذه المقدمة الوجيزة فاني أبدأ في نقد الكتاب

فالنقد على ما جاء في كتب اللغة والأدب مأخوذ من نقد الدراهم يقال نقد الدراهم وغيرها نقداً وتنقاداً ميزها ونظرها ليعرف جيدها من رديئها ومثله تنقّد وانتقد اي ان نقد وتنقّد وانتقد بمعنى واحد فالنقد والتنقاد والتنقّد والانتقاد معناه تمييز الجيد من الرديء لا إظهار العيوب وحدها كما هو شائع عند بعض الكتّاب . فاظهار العيوب سهل جداً ولكن نقد المؤلفات كما يفهمه الاجلاء ليس بالأمر الهيّن لان له أصولاً وقواعد يجب اتباعها وللعالم المحقق قسطاكي بك الحمصي مؤلف نفيس في النقد قرأته في دمشق سقى الله أيامها وأعادها الينا وإني أشير على كل أديب ان يقرأه فالنقد ليس اظهار المساوىء وحدها فهذا ذم ولا بيان المحاسن دون المساوىء فهذا مدح بل هو العدل في التمييز بين الجيد والرديء كما تنقد الدراهم

ثم اني قرأت هذا الكتاب اي « من الارز الى الزوفى » من أوله الى آخره فاذا كله جيد لا رديء فيه لذلك يعدّ نقدي له تقريظاً وليس ذلك لان مؤلفتيه الفاضلتين من الشق الملسن بل لانه يستحق التقريظ والثناء فاني لو وجدت فيه عيباً لقلته ولذلك جعلت نقدي له بحثاً علمياً لغوياً لعل في ذلك بعض الفائدة للقراء فلخصت فصلين منهُ وذكرت ما ورد فيهما من النبات باسمائه العلمية والانكليزية والعربية كما وردت في الكتاب تماماً وعلقت بعض الحواشي بقلمي

في الفصل الاول كلام على السنة الزراعية في فلسطين جاء فيه ان السنة عند الزُرّاع نصفها شتاء والنصف الآخر صيف فالشتاء عندهم يبتدىء في شهر تشرين الثاني أي نوفمبر وهو أول السنة الزراعية اما في سورية الشمالية اي الشام فأوله قبل ذلك اي في تشرين الاول (اكتوبر) وهو يوافق اول السنة العبرانية . ومن اقوال الزراع عندهم آخر السنة آخر الصيف واول السنة اول الشتاء وهم يريدون بالشتاء المطر فاذا جاء عيد لدّ اي عيد مار جرجس وهو يقع في ٣ — ١٦ من الشهر وقع المطر اما قبله او بعده بأيام فاذا وقع في العيد استبشروا بذلك وقالوا اوسعت الدنيا من الوسم (الوسمي) اي أول المطر

قلت وجميع ما تقدم يوافق ما جاء في كتب اللغة (المخصص ٨٧:٩ وما يليه) فأول امطار

السنة الوسمي سمي وسمياً لانهُ يسم الارض بالنبات . اما قولهم في فلسطين ان اول السنة اول الشتاء فهم يريدون بالشتاء المطر كما تقدم . اما الشتاء عند العرب فالنصف الاول من السنة وأوله من حين انتهاء النهار في القصر وابتدائه في الزيادة وذلك لخلول الشمس برأس برج الجدي اي ما يعرف عند الفلكيين بالمنقلب solstice الشتوي ويقع في الحادي والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) ويُسمّى عيد البربارة وآخره عند انتهاء النهار في الطول وابتدائه في النقصان اي ما يسمى عند الفلكيين بالمنقلب الصيفي وهو يقع في الحادي والعشرين من حزيران (يونيو) فهذه الاشهر الستة هي الشتاء عند العرب وهم يسمونهُ الربيع ويقسمونهُ الى ربيعين الاول منهما ربيع الماء والامطار والثاني ربيع النبات فالربيع الاول ابتداؤه اول الشتاء وآخره الاستواء الربيعي وهذا ما يسمى الشتاء في ايامنا والربيع الثاني من الاستواء الربيعي الى المنقلب الصيفي وهو المسمى ربيعاً في ايامنا لذلك يسمون الموصل ذات الربيعين اي الربيع الاول وهو ربيع المطر والربيع الثاني وهو ربيع النبات . اما الصيف عند العرب فأوله المنقلب الصيفي اي ٢١ حزيران (يونيو) وآخره المنقلب الشتوي اي ٢١ كانون الاول (دسمبر) . والصيف قسمان فالقسم الاول منهُ يسمى الفصل الصيفي والقسم الثاني يسمى الفصل الخريفي اي ان السنة كلها فصلان اي اربعة ارباع فالفصلان الشتاء والصيف والارباع اي الفصول الاربعة ربيع الماء والامطار وهو الشتاء في ايامنا وربيع النبات وهو الربيع عندنا والفصل الصيفي اي الصيف عندنا والفصل الخريفي وهو الخريف عندنا . الى ان جاء في الكتاب :

فاذا ارعدت قال الزرّاع من النصارى هذا فرس مار جرجس يطارد في السماء وقال المسلمون هو الخليل او الخضر . فمار جرجس في فلسطين هو الخضر الاخضر وهما اي لمار جرجس وللخضر علاقة بمار الياس اي ايليا . ولعل للخضر علاقة بالله قديم هو رب الامطار واخضرار الارض بالنبات

قلت لا ادري من هو الخضر وانا انقل هنا بعض ما ورد في كتب اللغة فقد جاء في تاج العروس الخَضِر والخِضْر والخَضْر ابو العباس احمد على الاصح وقيل بليا وقيل الياس ... وقيل خضرون بن مالك ... وقيل هو اخو الياس ... وقال جماعة كان في زمن سيدنا ابرهيم عليه السلام ... وقال ابن عباس الخضر نبي من انبياء بني اسرائيل . وقيل هو ... بالحق من عباد الله ... وقيل نبي معمر محجوب عن الابصار وانهُ باق الى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة وانهُ يؤخر حتى يكذب الدجّال وانهُ في كل مائة سنة يصير شابًّا وانهُ يجتمع مع الياس في موسم كل عام الى آخر ما جاء في هذه المادة وفي محيط المحيط قيل هو صاحب موسى ويكنى بابي العباس وقيل اسمه آليا وهو نبي والمشهور انهُ مار جرجس

قلت اما مار جرجس فقد قيل انهُ كان فارساً من فرسان الروم تنصّر واستشهد في زمن

ديقلطيانس ودفن في اللدّ سنة ٣٠٣ وقيل غير ذلك وقيل ان جثتهُ نقلت من اللدّ في الحروب الصليبية . فان كان الخضر مار جرجس فان اهل بيروت يزعمون انهُ قتل التنين فيها وله مقام هناك بين نهر بيروت والمدينة القديمة يقال له الخضر وكان له كنيسة في قلب المدينة قيل هي الآن المسجد العمري فبنى الروم كنيسة اخرى لا تبعد عن المسجد اسمها مار جرجس . فاذا كان الخضر مار جرجس فقد لقيتهُ في بيروت ولقيتهُ في اللد لانهُ قتل التنين في يافا على زعم اهل فلسطين لا في بيروت . ثم اني لقيتهُ في حيفا ولعله اجتمع فيها مع مار الياس ومقامه هناك في جبل الكرمل في جوار مار الياس . ثم عدت ولقيتهُ في الموصل مدينة الانبياء والصالحين وقبره هناك وله فيها مسجد يقال له النبي جرجيس يزعم النصارى انهُ كان بيعة لهم باسم مار جرجس

ثم ان مار الياس لهُ معابد كثيرة اشهرها دير مار الياس للآباء الكرمليين في جبل الكرمل حيث يقال انهُ استلّ سيفهُ وقتل انبياء البعل وكانوا اربع مائة ثم اني سمعت اسمهُ في بغداد وهو محلة في جانب الكرخ يقال لها الخضر الياس قرب دار آل السويدي . ثم ان مار جرجس وقتل التنين في زمن الملك صبرا يذكرنا باسطورة فرساوس حامل رأس الغول وهو الآن صورة من الصور النجومية وابنة الملك صبرا التي يزعم اهل بيروت انها ابنة ملكهم العذراء تذكرنا باسطورة المرأة المسلسلة وهي كذلك صورة من صور السماء . وصفوة القول اني ضعت بين الخضر ومار الياس ومار جرجس الروي وبين النبي جرجيس الموصلي . ولا يخفى ان مار جرجس هو شفيع الانكليز فهل هو يا ترى النبي جرجيس الموصلي او الخضر البيروتي او الخضر الفلسطيني وعلى كل فاذا كان الخضر نبيًّا او من عباد الله الصالحين فانهُ شفيع انكلترا او منتدب عليها بلغة رجال السياسة في هذا العصر . ثم جاء في هذا الفصل من الكتاب ذكر اسماء الشهور الشائعة في ارطاس . وهذه الاسماء لا تختلف كثيراً عن الاسماء الشائعة في سائر فلسطين والشائعة في شمال سورية والعراق وهي سريانية جرت عليها الدول العربية في معاملتها لان شهورها ثابتة لا تتغير وهي عندي اصلح من الاسماء الافرنجية الشائعة في مصر

***

وفي الكتاب فصل في الحب والخمر والزيت Corn, Wine and Oil فن الحب القمح ويقال الحنطة ومنهُ الشعير والذرة والارز . ثم كلام على الحصاد والدراس اي دق الحب او درسه اما بارجل البقر او بالنورج . ثم تذرية الحنطة وعمل الخبز وهو عند زراعيهم نوعان خبز الطابون اي الفرن وخبز الصاج . ويصنعون ايضاً خبز الملّة . ثم كلام على الكرم جاء فيه ان اهل ارطاس لا يعصرون الخمر لانهم مسلمون وانما يدبّسون ويزبّبون . ثم كلام على الزيتون والزيت وعصره

قلت والحَبّ بالعربية ويقال الطعام الحنطة ونحوها وفي الكلدانية الحنطة وفي ارامية واسكندية الشوفان وفي اميركة الذرة المعروفة في الشام بالذرة الصفراء وفي مصر بالذرة الشامية فالحَبّ بالانكليزية يقابله الحَبّ او الطعام بالعربية . اما القمح فن اسمائه بالعربية الحنطة كما تقدم والبُرّ وهي شائعة في اليمن والطعام وقد تقدّمت الاشارة اليه فاذا قال السوداني الطعام فهو يريد الذرة اي الذرة البلدية فالذرة بالعربية هي الذرة البلدية او الذرة البيضاء وهي اصلية في الشرق . اما الذرة الشامية او الصفراء فهي اميركية ولم تكن معروفة في الشرق قبلاً فالذرة في كتب اللغة هي الذرة البلدية فقط

أما ارطاس ويظن ان حدائق سليمان كانت فيها فقرية صغيرة قرب بيت لحم تقيم فيها الس بلدنسبرجر احدى مؤلفتي الكتاب

ثم فصل في الاطعمة البرية كالبقول واحرار البقول والجذور والقطاني وطعام البر وما يأتي بعضها كما وردت بأسمائها العربية والانكليزية والعلمية

البقول Greens

البقل واحده بقلة وجمعه بقول كل ما ينبت الربيع مما يأكله الناس وكل نبات اخضرت به الارض ويقال للبقل والبقول الخضرة والخضر والخضراوات فترجمت اللفظة الانكليزية بالبقول كما جاءت في سفر الامثال . قال : اكلة من البقول مع المحبة

خُبّيزة Common mallow. Malva rotundifolia. L.

يأكلونها مطبوخة مع الارز ويجعلون الارز بين طبقاتها فاذا طبخت كذلك سموها مقلوبة او شختوره وكانت الخبازى معروفة في زمن الرومانيين وكان اكلها شائعاً في العصور المتوسطة

قلت والخبيزة عامية وبعض العامة في سورية اي في الشام ولبنان وفلسطين يقولون الخُبّيزي على عادتهم في كسر ما قبل تاء التأنيث في اواخر الكلم فيقولون مثلاً ضربي ومصيبي في ضربة ومصيبة بخلاف عامة اهل العراق ومصر فانهم لا يفعلون ذلك بل يقولون ضربة ومصيبة . اما فصيح الخبيزة فالخُبّازى والخُبازى بالتخفيف والخبّاز والخبّازة والخُبّيز ولم اعثر على الخبيزة في كتب اللغة . والخبازى واخواتها اسم جنس لها . وقد يكون واحد الخبيز خُبّيزة فاستعملها العامة بمعنى الخبازى كما قالوا الحُطّيّة في الحُطّي . وارى ان نخصص الخبيزة لجنس آخر منها كما فعل الدكتور بوست في كتاب نبات سورية وفلسطين والقطر المصري وبواديها فيقال في ترجمة Malvella خُبّيزة

فالخبازى بقلة من الفصيلة الخبازية التي منها الخطمي والملوخية والبامية والقطن ومن اسمائها الرقمة والقبلة ولعل هذه في الاصل مقلوب بقلة . وليست الخبازى الخطمي ولا العضرس ولا شحمة المرج ولا النيسل ولا الفول فهذه جميعها الخطمي لا الخبازى فالخبازى الجنس

المسمى عند علماء النبات Malva فهذا هو الخبازى دون غيره ولو تعددت انواعه اي ان جميعها خبازى ورقة وقبلة وربما كانت الرقة خبازى بقية لان علماء ثقات سموها بهذا الاسم . ولما كان التبرعي نقل الكتاب عن الخبازي والخطمي فلا بأس بايضاح صحة استعمالهما فالخبازى من الجنس الذي تقدم ذكره اورد منهُ بوست ستة انواع سماها بالعربية ما يأتي : الخبازى المصرية والخبازى الاجمية والخبازى السبقية (وهي الرقة) والخبازى المستديرة الورق (وهي الخبازى المعروفة التي تؤكل) والخبازى الصغيرة الزهر والخبازى الحادة الفصوص

أما الخطمي ويقال خطمي الواحدة منهُ خطمية اي النبتة الواحدة بالتاء والدامة تستعمل الخطمية بمعنى الخطمي كما تستعمل الخبيزة بمعنى الخبيز او الخبازى اي ان الخطمي اسم جنس لنبات من الفصيلة الخبازية وهو من جنسين آخرين غير جنس الخبازى هما Alcea & Althea ومن اسماء الخطمي بالعربية الخبيز والخبيزة والخشوف والخشخاش والخضرس وورد الزواني واما الخطمي المستعمل في الطب فاسمهُ ما يأتي :

Common or Officinal Marsh mallow. Althea officinals. L.

وارى ان اصلح اسم عربي له الخطمي المعروف او الخطمي الخزني واغفال ورد الزواني وسائر ما جاء من المترادفات فاسم واحد صواب خير من تعدد اسماء قد يكون بعضها خطأ

والخطمي انواع كثيرة ترجع كلها الى الجنسين المتقدمين فمنها الارمني والقبي (وهذا الذي سماه ابن البيطار بالقنب البري) والوردي (ولعله الذي سماه ابن البيطار ورد الزواني) والتيني الورق وغيرها والاصلح ترجمة هذه الاسماء كما فعل الدكتور بوست فقولنا الخطمي الوردي خير من قولنا ورد الزواني وقولنا الخطمي القبي خير من قولنا القنب البري لانهُ ليس قنباً بل خطميًّا اما تسمية الخبازى التي تؤكل بالخطمي والخضرس وشحمة المرج والخسل والخشوف فخطأ

الخبيث Hoary brassica. Brassica nigra. Boiss.

يطبخ ورقه ويصعب التمييز بينه وبين الخردل الاسود . والاسم العربي اي الخبيث والعبراني اي الخلاف والاسم النوعي معناهما واحد اشارة الى التفاف غلاف البزر او لفته الى الساق

لسان الثور Bull's tongue. Salvia horminum. Boiss.

هو نوع من السالفة او المريمية احمر الثون يطبخونهُ محشواً كالكرنب المعروف في الشام بالملفوف

لوف . اذن الفيل Arum of several species

لا يأكله الا الفقراء وهو سام فيغسلونه بالماء الحار ويطبخونه محشواً كالملفوف